اللعب مفهومه، وظائفه، أنواعه

د: محمد مجاهد

المغرب

1) مفهوم اللعب: إشكالية المصطلح:

يعد اللعب نشاطاً من النشاطات التي يمارسها الأطفال، دونما هدف محدد سوى ما يحققه لهم من متعة ناجمة عن طبيعة اللعب ذاته، لذلك اعتبره كانط متعة خالصة، لا تستهدف تحقيق أي غرض من الأغراض، كما صنفه أمين مرسي قنديل، ضمن الميولات الفطرية، سواء عند الأطفال أو صغار الحيوان " التي تندفع إليه بفطرتها ومن تلقاء نفسها، وتبدي فيه نشاطا وجهداً كبيرين، من غير أن تقصد من وراء ذلك غرضا معينا، سوى إشباع هذا الميل الفطري فيهم، واستدامة السرور الذي تشعر به أثناء اللعب والمرح"[1]، ويفهم من هذا الرأي، أن اللعب سواء عند صغار الإنسان أو الحيوان، هو مظهر من المظاهر الفطرية، التي ترتبط بالفرح واللذة، على الرغم مما قد يصاحبه من جهد.

لقد حظي اللعب باهتمام الفلاسفة القدامى، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن أفلاطون كان أول من اعترف بقيمة اللعب وأهميته الوظيفية، إذ كان يشجع الصبية على تعلم الحساب والبناء، عن طريق اللعب بالتفاح وبأدوات بناء حقيقية من حجم صغير، كما كان تلميذه أرسطو، يشجع الأطفال على اللعب، من خلال تقمصهم للأدوار التي سيقومون بها عندما يصبحون راشدين، وهذا التصور هو الذي دعا إليه كارل كروس [*]، الذي اعتبر اللعب تدريبا على " المهارات اللازمة لحياة البالغين، وبالتالي هو الذي يصل بها إلى درجة الاكتمال فالطفل يحرك باستمرار يديه وأصابع قدميه، ويثرثر بالكلام ويصيح، يتعلم السيطرة على جسمه"[2].

ويفهم من هذا أن اللعب كان من الوسائل التربوية الناجعة، التي من شأنها أن تزود الطفل، بمجموعة من القدرات والمهارات، التي من الممكن أن يستفيد منها، ويستثمرها في حياته المستقبلية.

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية اللعب شأنها في ذلك شأن باقي الأمم فقد ترددت في القرآن الكريم كلمة لعب، لاعبين بضع مرات، قال تعالى:﴿ **إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ...** ﴾، [الحديد الآية 20].

وإذا كان السياق القرآني في الظاهر يحيل على البعد القدحي لمفهوم اللعب فإننا نجد له دلالات إيجابية في الفكر الديني حيث تشير بعض الدراسات الى أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تصنعُ الدمى وتلهو بها، أمام أعين الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن اللغويين العرب القدامى وقفوا على مصطلح اللعب وحاولوا تحديده، فابن منظور في لسان العرب يعرفه تعريفا بقوله " اللعب ضد الجد والملعبة ثوب لاكم له يلعب فيه الصبي، وملاعب الصبيان والجواري في الدار من ديارات العرب: حيث يلعبون، الواحد ملعب"[3]. أما ابن عرضون وهو لغوي مغربي عاش في القرن 11 الهجري فيعرفه بقوله " اللعب مفيد للصبي التلميذ، وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا مباحا ويستفرغ إليه من تعب الأدب، حيث لا يتعب في اللعب، فإن الصبي لا يمل من اللعب، وإرهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا"[4].

كما نجد البلغيتي يتناول موضوع اللعب على طريقة النظم المشهورة في القرون الوسطى حيث يقول في كتابه " الابتهاج بنور السراج":

ولعب الكرة ليس مذهبي ❖ إذ فيه للقتال أقوى سبب

والضام دعها اللعوام تبرز ❖ ولعب الشطرنج قد يحوز [5]

وهو يبين أهمية لعب كرة القدم رغم خطورتها والشطرنج بالنسبة للصحة البدنية والعقلية بشكل عام، دون أن يميز بين أهميتها بالنسبة للطفل وأهميتها بالنسبة للراشد.

ولقد اهتم بموضوع اللعب أيضا كبار المربين بدءا من كومينيوس في القرن 17 إلى روسو وبستالوزي وفروبل في القرن 18، هذا الأخير الذي كان دافعه الأول إلى الاهتمام باللعب هو الطفولة المعذبة التي عاشها زيادة على إعجابه بالفلسفة الرومنسية، وهذا ما جعل الحرية والتعبير عن الذات يحظيان لديه بالأولوية القصوى والواقع أن فروبل قد أدرك مبكرا إمكانية استثمار ميول الأطفال نحو اللعب، وانجذابهم إلى بعض أنواعه في تنمية كفاءاتهم ومعارفهم، وما كان ليتأتى له ذلك لولا خبرته الطويلة في التربية والتعليم، كما تجدر الإشارة إلى أن ماريا منتسوري تعتبر بحق رائدة في هذا المجال حيث وظفت اللعب ضمن طريقتها التعليمية، على اعتبار ما يوفره اللعب من حرية كبيرة لتنمية فعالية التدريب الحس – حركي في عملية اكتساب المعارف ويتساوق مع هذا التعريف تعريف للعب ورد في معجم علوم التربية يقول صاحبه:" اللعب نشاط منظم بمعايير وضوابط تحكم علاقات التلاميذ، وتمكنهم من التفاعل فيما بينهم ومع محيطهم، وتنمي مهارتهم وقدراتهم العقلية، والحركية ومواقفهم الوجدانية"[6].

ويحيل هذا التعريف الأخير على البعد الاجتماعي للعب لأنه على حد تعبير ويلفورد: " وسيلة للتنشئة وإدماج الطفل في بيئته، فهو يجعل الطفل فردا مشاركا في الجماعة، ويطور فهمه للغة وللنظام الاجتماعي، كما يمكنه من إدماج مفهوم المعيار بإدراكه أن العلاقة مع الآخرين تحكمها معايير، ويجعله مساهما فعالا في سيرورة تعلمه"[7].

أما بالنسبة لعلماء النفس التحليلي كسيجموند فرويد مثلا فإنهم يعتبرون اللعب نوعا من التداعي: " يمارس فيه الطفل أحلام اليقظة لأنه يستخدم أشياء ومواقف من العالم الواقعي ليخلق عالما خاصا به، يستطيع فيه أن يكرر الخبرات السارة حسبما يريد، ويستطيع أن ينظم الوقائع ويعدها على النحو الذي يسبب له أكثر قدر من المتعة، فالطفل مثلا يريد أن يكبر، وأن يفعل ما يفعله الكبار، ويكون هذا ممكنا فقط في اللعب، والبنت الصغيرة تمارس على عرائسها تلك السلطة التي تحرم منها في عالم الواقع"[8].

نستنتج من التحديدات السابقة أن مفهوم اللعب، قد أخذ أبعادا متعددة ومختلفة، وذلك بحسب المنظورات والتصورات التي نوقش في إطارها، لكن على الرغم من التباين يظل اللعب عملية إجرائية يمكن استثمارها بأشكال وأنواع كثيرة سواء على مستوى التربية والتكوين أو على مستوى الراحة والاستجمام أو على مستوى تحليل شخصية الطفل والنفاذ إلى بواطنه ومكبوتاته.

2) نظريات حول اللعب:

إن تناول موضوع شائك كاللعب يستدعي استحضار أهم الدراسات التي تناولته، فإذا كانت النظريات القديمة لا ترقى إلى مستوى المقاربة العلمية الرصينة فإن الأمر لم يعد كذلك خصوصاً في أواخر القرن التاسع عشر حيث ظهرت الصياغات الأولى لنظريات اللعب بتأثير من نظرية التطور التي تذهب إلى أن الأنشطة الأساسية للكائنات الحية موجهة لإشباع الحاجات الجسمية الضرورية لحفظ النوع، وسنعرض فيما يلي وبشكل مختصر لثلاث نظريات أساسية هي: نظرية هربرت سبنسر، ونظرية ستانلي هول، ونظرية كارل كروس.

2-1: هربوت سبنسر: اللعب تخلص من طاقة زائدة:

كان هربرت سبنسر أحد الفلاسفة الإنجليز السباقين إلى تناول موضوع اللعب من خلال تأسيسه لنظرية الطاقة الزائدة في اللعب[9] ومفاد هذه النظرية أن الأطفال يلعبون فقط للتنفيس عن فائض الطاقة الذي يختزنونه، وهذا الطرح لا تتفق معه سوزانا ميلر معللة ذلك

بقولها: " إن الطفل المتعب من طول المشي يستعيد نشاطه ويهرول مسرعا إلى بيته إذا وعد باللعب في نهاية المطاف، إذن فالطاقة الزائدة ليست ضرورة للعب"[10].

2-2: نظرية ستانلي هول: اللعب أثر لنشاط الأسلاف

إذا كانت كتابات هربرت سبنسر تأملية للغاية، فقد أعقبتها نظرية أخرى تمتح أسسها من نظرية التطور وتنشد لنفسها نوعا من الدقة، والرصانة العلمية، وهي النظرية التلخيصية التي يعتبر الأمريكي ستانلي هول من أهم روادها.

وملخص نظريته أن الأطفال هم حلقة في السلسلة التطورية من الحيوان إلى الإنسان، فهم يمرون في الفترة الجنينية بمختلف مراحل التطور بدءا من الحيوان ذي الخلية الواحدة إلى الإنسان المكتمل: إن بعض هذه المراحل التي يمر خلالها الجنين الإنساني – ابتداء من التخلق إلى الميلاد– تماثل التتابع النشوئي الارتقائي للسلوك والبنية بدءا من الأسماء وانتهاء بالإنسان، ومن ثمة فإن الطفل حسب هذه النظرية يعيش من جديد تاريخ أسلافه الأبعدين فهو: " حين يفرح باللعب بالماء يحن إلى حياة أسلافه من الأسماك" [11]، " وحين يقفز ويتسلق الأشجار يظهر بقايا من أثر اجداده القردة" [12].

2-3: نظرية كارل كروس: اللعب تدريب على المهارات اللازمة لحياة الرشد

ينطلق جروس من التشكيك في كون الخصائص المكتسبة لا يمكن أن تتوارث إسوة " بفايسمان" لذا فهو يقترح أن اللعب هو تدريب على المهارات اللازمة لحياة البالغين، وبالتالي يصل الطفل بهذه المهارات إلى درجة الاكتمال والنضج مسترشدا بكون الحيوانات التي تبقى هي التي تتلاءم إلى أقصى حد مع الظروف السائدة، والتي يكون نسلها قادراً على التكيف مع الظروف المتغيرة وإذا كانت الحيوانات تلعب فإنما يحدث ذلك لأن اللعب يكون نافعا لها في صراعها للبقاء" [13]، إذن فاللعب من منظور جروس، هو تدريب الصغار على المهارات التي يحتاجونها عندما يصبحون راشدين، والتي تساعدهم في تدبير شؤونهم اليومية وقهر تحديات الطبيعية.

نستخلص من هذه النظريات الثلاث أن اللعب هو حلقة من الحلقات الأساسية في التكوين البيولوجي للإنسان، لأنه قد يكون تخلصا من الطاقة الزائدة حسب هربرت سبنسر، وقد يكون نشاطا وراثيا حسب ستانلي هول، كما أنه قد يكون تدريبا على المهارات اللازمة التي يحتاجها الطفل كلما تقدمت به السن، حسب كارل جروس.

3-1: أهمية اللعب

يعتقد بعض الآباء أن الألعاب التي يقوم بها الأطفال خاصة في سنواتهم الأولى ليست إلا لهوا وهدرا للوقت، ويبدو ذلك من خلال استخفافهم بالأنشطة التي يقوم بها أبناءهم في المدارس، والواقع أن هؤلاء الآباء يجهلون الكثير حول مراحل النمو عند الأطفال، ولا يدركون أن " اللعب يعتبر من أهم المقومات التربوية بالنسبة لأبنائهم كما يعتبر نشاطا مميزا لحياتهم ومدخلا وظيفيا لعالم الطفولة إضافة إلى كونه وسيطا تربويا فعالا في تشكيل شخصية المتعلم في سنواته الأولى، لماله من آثار إيجابية على النمو العقلي للأطفال في هذه المرحلة[14]".

ويـــمـــيـــز الـــطـفـــل بين العمل واللعب بناء على ما استبطنه من معطيات البيئة الاجتماعية " ويتجلى هذا التمييز في المجتمع المدرسي، حيث يكون المتعلم جادا في دراسته ورغم اهتمامه باللعب وبذله قصارى جهده فيه، فإن لا يرقى إلى الجهد الذي يبذله المتعلم في التحصيل"[15].

إذن فاللعب عند الأطفال يعد حاجية أساسية في بداية حياتهم، لارتباطه بعملية النمو البيولوجي، الذي توازيه مجموعة من الميكانزمات التي تبلور البناء المعرفي لديهم، انطلاقا مما هو حسي – حركي إلى ما هو مجرد- إدراكي في سن لاحقه، وفي هذا الصدد يقول سالم اكونيدي: " ينبني اللعب على نزوع فطري تلقائي لدى المتعلمين في سنوات عمرهم الأولى ويستمر متدرجا معهم .

وفي انطلاقته يعتبر نشاطا ذاتيا غير هادف بمعنى أن قصدية الكبار فيه تكون غير معتبرة ولهذا يترك شأنه للطفل الذي نجده يساعده على نموه الجسماني كحركة دينامية يقتضيها هذا النمو وما يترتب عنه من آثار نفسية ومعرفية للطفل"[16].

لقد بدأ الاهتمام باللعب كوسيلة في التربية والتعليم ووسيط أساس في تنمية القدرات العقلية للطفل في القرنين 17 و18، مع بعض المربين والفلاسفة الغربيين نذكر منهم كومينيوس وروسو وبستالوزي وفروبل الذين تحدثنا عنهم سابقاً، لقد اقتنع هؤلاء المربون بالنزعة الفطرية الطبيعية للأطفال، وميلهم الذي يختلف حسب مراحل النمو. فركز فروبل – المتأثر بفلسفة شلنج التي تقول بالحرية في التعبير والذاتية – على أهمية اللعب في التعليم وفي تنمية ملكات الطفل ومهاراته الإدراكية الذهنية.

وتطور الاهتمام باللعب في حقبة لاحقة مع مربين آخرين نذكر منهم ماريا منتسوري التي جعلت اللعب أساس طريقتها التعليمية، أما في العصر الحديث فقد عرفت ألعاب الأطفال تطورا كبيرا بفعل التقدم التكنولوجي والعلمي الذي عرفه العالم، وقد حظيت هذه الألعاب باهتمام الباحثين لما لها من أهمية في تنمية القدرات الإبداعية والخبرات الفنية لصغار الأطفال.

1-4 وظائف اللعب:

يقول الدكتور سعيد بحير: " تتميز مرحلة الطفولة المبكرة بالنمو النفسي السريع في النواحي الحسية الحركية للطفل نتيجة نضج أعضائه الجسمية ووظائفه الحسية الحركية، والملاحظ أن حركات الطفل عند الميلاد وفي الشهور الأولى في حياته تكون عشوائية عامة وتشمل الجسم كله دون تحقيق أي أهداف خاصة "[17].

فالطفل يحرك جميع أطراف جسمه عند تعلمه لأية مهارة جديدة، ثم يتطور نموه وتصبح الحركات أكثر دقة حيث يبدأ في تحريك أعضائه لأداء مهارة خاصة، فيحرك الطفل رجليه لتعلم المشي، ويحرك لسانه وفمه ليتعلم الكلام، ويحرك يديه ليتعلم الكتابة ثم يبدأ في إتقان الخط حينما يتم التوافق الحركي القائم بين العين واليد"[18].

في مرحلة لاحقة، يصبح الطفل في حاجة ماسة الى استيعاب مفاهيم الزمان والمكان والأشكال والألوان والاتجاهات، وإشباع حاجته إلى الاكتشاف والاستطلاع، والمعرفة.

فيجد في اللعب ضالته ومطيته التي بها يبلغ مراده فالطفل يقلب اللعبة التي يناولها إياه والده ويفحصها يجذبه اليها اللون الزاهي والأزرار والصوت الذي تصدره، فيكرر الأفعال التي تحدث نتائجا. وقد يتطور به الأمر عندما يكون في سن متقدمة إلى كسرها لمعرفة ما تنطوي عليه، ومن منا لم يكسر إحدى لعبه بحثا عن السر الكائن وراء اشتغالها، وهو في كل هذا يشحذ ذهنه ويتمثل سر اللعبة ويستحضر في ذلك كل خبراته السابقة ويوظفها بشكل أو بآخر لحل الألغاز والعلاقات السببية التي تربط العجلة بالمحرك بالبطارية... إذن فالطفل في أثناء كل ذلك يدرك ويتمثل ويفكر، أفلا نسمي هذا نشاطا معرفيا واضحا؟ !!

إن الطفل في سن مبكرة يحتاج أيضا الى إشباع رغبته في الحديث إلى الآخرين والتواصل معهم عبر قنوات يحتل فيها النشاط اللغوي المكانة الأبرز. يحدث هذا بقوة في أثناء اللعب، حيث يستخدم الطفل كل المهارات اللغوية التي اتقنها سابقا، فيتحدث إلى أقرانه ومربيته عن نفسه وعائلته وكل الأنشطة المنزلية التي يقوم بها. " وكلما ازدادت معرفة الطفل بالأشياء كلما ازداد محصوله اللغوي

واتسعت خبرته بالعالم من حوله، وتقوت قدرته على الفهم والتعبير وهكذا فإن ما يساعد الطفل على تنمية محصوله اللغوي هو تمكنه من حرية الحركة، والتعبير اللذين يسمحان له بتنمية علاقات طيبة مع الآخرين" [19].

وفي اللعب أيضا يقوم الطفل بنشاط اجتماعي انفعالي، عندما يلعب دور الأب أو الأم، أو المدرس مع شخوص يختارها، من دماه فيمارس عليها سلطته الوهمية، فهو يضرب دميته، ويجرعها الدواء، الذي يتجرعه هو بتقزز ويعاقبها إذا لم تنظف أسنانها بعد الأكل وكذلك إذا لم تحفظ دروسها وهو في كل هذا يعبر عن انفعالاته بشكل جلي.

بعد أن تناولنا الكيفية التي يخدم بها اللعب مناحي النمو المختلفة عند الطفل يمكن تحديد الوظائف التي يمكن أن يؤديها اللعب فيما يلي:

- **أولا:** يعتبر اللعب فرصة لكسر القيود، والتحرر من االلتزامات، والتمرد على الأوامر والنواهي. ويتيح للطفل أن يعيش أحداثاً كان يود أن يعيشها، ويعالج مواقف كان يرغب أن يكون وضعه مختلفا فيها، يقول الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل: " إنه – أي اللعب – انطلاقه يحل بها الطفل، ولو وقتيا التناقض القائم بينه وبين الكبار المحيطين به ليس هذا فحسب، بل إنه انطلاقة للتحرر من قيود القوانين الطبيعية التي قد تحول بينه وبين التجريب واستخدام الوسائل، دون ضرورة للربط بينها وبين الغايات أو النتائج " [20]. وبناء على هذا الرأي يمكن أن نعتبر اللعب فرصة يمارس فيها الطفل تصرفاته دون قيود.

- **ثانيا** : اللعب لا يحدث فقط على سبيل الترفيه، بل يمكن اعتباره الإطار المناسب الذي يمكن الطفل أن يقطع فيه أشواطا من النمو ويكتسب مهارات يعز عليه اكتسابها في إطار آخر خارج اللعب، فهو – أي الطفل– حين ينهمك في اللعب ويبذل قصارى جهده فيه ويقوم بأعمال من الممكن أن يعتبرها الكبار شغبا، كتكرار إطفاء التلفاز وإشعاله أو القفز فوق المناضد، فإنما يستفيد من ذلك في تطوير مهارته، وضبط حركاته والتحكم الجيد في جسمه، إذن " فالطفل من خلال هذا النشاط يكتسب مهارات حركية حيث تصبح حركته أكثر دقة وأكثر تحديداً" [21]

- **ثالثاً:** عن طريق اللعب أيضا يكون الطفل خبرة عن القوانين الأساسية للمادة والطبيعة ويدرك العلاقات السببية الموجودة بين الأعمال التي يقوم بها وما يترتب عنها من نتائج، مثلا: عندما يلهو الطفل بانتعال أحذية الكبار، ويحاول المشي بها فيسقط ويعاود الكرة مرات ومرات، فإنه حتما سيتعود السيطرة على جسمه، ويتمكن من إدراك المقاسات بالعين، فيسهل عليه مستقبلا التعرف على حذائه الخاص به، وانتعاله بالطريقة السليمة.

- **رابعا:** يحقق اللعب أيضا وظيفة هامة في فهم وعلاج الأطفال المضطربين، فقد أدت تفسيرات فرويد للتخييل واللعب باعتبارهما اسقاطا للرغبات المكبوتة وتكرارا لتشخيص الأزمات والأحداث للسيطرة عليها – إلى بروز وسائل لقياس الشخصية على اعتبار أن اللعب والخيال يعريان المستور ويستجليان الخفي من الحياة النفسية الداخلية للفرد، كما استخدم فرويد اللعب الايهامي مع الدمى ووسائل إسقاطية أخرى في تشخيص حالات الاضطراب لمرضاه من الأطفال.

- لذلك يمكن القول بأن مدرسة التحليل النفسي " استخدمت اللعب التلقائي: حيث يكون بعضه كبديل للتداعي اللفظي الحر عند الكبار، وبعضه الآخر كنوع من التفريغ أو التطهير، أو كوسيلة مساعدة على التواصل مع الأطفال، أو ببساطة لكي يمكن ملاحظتهم" [22].

ومن أمثلة اللعب التي يمكن أن نسوقها، والتي يبرز فيها أثر تفريغ الانفعالات " ألعاب القتتال والمشاجرة التي يبادئ بها صغار الأطفال وضعفاهم إخوتهم الكبار – الأصلب عودا– والتي يبدي فيها هؤلاء الصغار مهارات عالية في المصارعة، وشجاعة لا تماثلها إلا شجاعة أبطال أفلام الأمريكان، ولنتصور حجم الخسارة والهزيمة التي كانت ستحيق بهم لو كان هذا النزاع حقيقيا"[23].

" وللتخفيف من ضغط الصراع النفسي وتجاوزه يعمل الطفل أيضا على تصريف ذلك لا شعوريا عن طريق التسامي بواسطة الرسم، والتلوين أو الأعمال المهارية اليدوية، وغيرها من الإبداعات الفنية التي يقوم بها الأطفال في المدرسة، وهكذا تظهر متمنيات الأطفال وأحلامهم وأوهامهم في رسومهم وأعمالهم الفنية والابداعية"[24].

- **خامسا:** في سياق اللعب أيضا يكون لدى الطفل فرصة للعب الأدوار في محاولة منه السيطرة على المواقف المثيرة للاضطراب والقلق، فيعمد إلى اللعب الإيهامي حيث يتقمص أدوار التسلط، وأدوار الخضوع معا وهذه الأدوار التمثيلية حسب التحليل النفسي هي وسيلة كما ذكرنا سابقا لإخراج المكبوتات وتحويل الضغط نحو الخارج، فمثلا: قد يرتدي الطفل ملابس والده ويقلده، وقد تلبس الصغيرة جلباب أمها وتتحدث الى دميتها كما تتحدث والدتها اليها وتمارس سلطتها على الدمية كما تفعل المعلمة في القسم"[25].

- وهذا السلوك إنما هو تعبير عن رفض سلطة الكبار ومحاولة للتخلص من الصراع الداخلي الذي يشعر به الطفل. وبشكل وجيز يمكن القول إن " اللعب يساعد على نمو الطفل من جميع النواحي فهو يسمح له باكتشاف الأشياء والعلاقات بين الأشياء، وهو يسمح له بالتدرب على الأدوار الاجتماعية وهو إلى جانب ذلك يخلصه من انفعالاته السلبية، ومن صراعاته وتوتره"[26].

5- أنواع اللعب:

يمارس الأطفال أشكالا متنوعة من الألعاب كالألعاب الحسية-الحركية، وما يرافقها من استطلاع واستكشاف، وألعاب المحاكاة والتقليد، وما تتضمنه من ايهام وتقمص للشخصيات وتمثيل للأدوار، وأنواع أخرى لا تقل عنها أهمية، إلا اننا سنقتصر فيما يلي على الأنواع التي سبق ذكرها تفاديا للتيه، وأملا في الارتباط أكثر بما سيأتي من فقرات هذا العمل:

1-اللعب الاستكشافي:

إن من مظاهر اهتمام الطفل باستكشاف ما حوله من أشياء، " أنه يحاول أن يتحرك متجها إليها، أو يحاول لمسها، ولما لا الإمساك بها، ولا يحدث ذلك قبل ان يتم التآزر بين العين واليد في الشهر الثالث أو الرابع من العمر، ويحتاج الطفل إلى خبرة ومران قبل أن ينجح في تحقيق هذا التآزر، حيث تتحرك قبضتا يديه أمام عينيه بطريقة عشوائية في أول الأمر، قبل ان يستطيع لمس ما ينظر إليه"[27]، وتعتمد ألعاب هذه المرحلة على المثيرات من الأشكال التي تحدث صوتا، أو التي تبهر العين بألوانها الساخنة وبعض أشكال الدمى – كالدببة – التي تكون في العادة محببة لدى الأطفال.

وقد لاحظ جارنر أن الطفل في سنتيه 1 و2 يتعرف عالم الأشياء ويكشف ببصره وحواسه الموضوعات التي يحتك بها تدريجيا فيكتسب مرونة أكثر فينظر إلى أنماط بصرية مختلفة، ويفضل أشكالا وألوانا محددة، كما يميل إلى بعض الحيوانات الأليفة. وهذه بداية التذوق الجمالي الفني، حيث ينجذب الطفل لبعض الأشياء والألوان والألعاب"[28].

في مراحل متقدمة من عمر الطفل نلاحظ السلوك الاستطلاعي وذلك عندما يتلقى لعبة جديدة، خاصة إذا كانت مما يحتوي على أضواء ومنبهات وأزرار.

فبمجرد أن يمسكها، يبدأ في فحصها واستكشافها وذلك بأن يضغط على الأزرار ويجرب المنبه، ويبقى على هذه الحال حتى يستنفذ جميع ما تتيحه له هذه اللعبة من إمكانيات تشغيلها، عند ذاك فقط يلجأ إلى إقحام هذه اللعبة مع لعب أخرى فينخرط في نوع آخر من اللعب الإيهامي، وهكذا دواليك ومن مظاهر حب الاستطلاع لدى الطفل أيضا تلك الأسئلة التي لا يمل من طرحها والتي تحرجنا نحن الآباء أحيانا وتضعنا في مواقف لا نحسد عليها ولا نعرف حينئذ كيف نتصرف إزاءها.

6-العوامل المثيرة للسلوك الاستطلاعي.

هناك ثلاثة عوامل أساسية حددها محمد عماد الدين إسماعيل كالتالي:

الجدة: وتتلخص في أن الاستجابة لأي مثير يمكن أن تخبو إذا ما تكرر عرض هذا المثير على الطفل عدة مرات، حيث يصبح الطفل معتادا على رؤية ذلك المثير، ويصبح المثير نفسه غير قادر بعد ذلك على جذب الطفل"[29].

التعقيد: فكلما كان المثير معقدا ازداد اهتمام الطفل بجمع المعلومات عنه والاهتمام البالغ به وازدادت فرصة تناوله على سبيل اللعب.

الغرابة: تجذب الغرابة انتباه الأطفال بشكل لافت وتخلق عندهم صراعا معرفيا داخليا خاصة عندما يجتمع شيئان يستحيل أن يجتمعا في الواقع.

ومن اللعب التي تشكل لغزا محيراً للطفل وتبعث على الغرابة تلك التي لا توجد في الواقع كإنسان برأس فرس أو سمكة برأس امرأة.

7- اللعب الإيهامي.

يظهر هذا الصنف من اللعب حينما يعامل للطفل قطعة من الحصر كما لو كانت قطعة " شوكولاتة" حقيقية ويتظاهر بتلذذ مبالغ فيه ممررا لسانه على شفتيه وممعنا في ذلك، ويظهر أيضا حينما يتعامل الطفل مع كرسي مقلوب على أنه سيارة، ويصل اللعب الإيهامي إلى الذروة فيما بين السنتين إلى السبع سنوات وقد ارتأى بعض علماء النفس أن هذا النوع من اللعب، هو مظهر من مظاهر النمو العقلي، كما أن الطفل في هذه المرحلة يقضي جل وقته في اللعب الذي يؤدي دوراً كبيراً في نموه المعرفي والانفعالي، والاجتماعي، كما يساعد الباحث في الاطلاع على أسرار كثيرة من حياة الطفل النفسية.

ويرى فرويد بأن اللعب الإيهامي والخيال يعبران عن شعور الشخص، ورغباته الدفينة و " يستند في رأيه إلى التمييز بين التفكير المنطقي والتفكير العاطفي حيث أن التفكير ينظم أولا على أساس الغرائز ويستخدم رموزا مشتقة من صلته بهذه الغرائز وعندما يصبح هذا الإشباع المتخيل غير كاف يبدأ التفكير المنطقي في الظهور.

أما الرغبات التي لا يدركها الطفل إدراكا واعيا فإنها تتفجر عن طريق اللعب وأحلام اليقظة"[30].

وأما بياجيه فيعتقد أن اللعب الإيهامي يقل تدريجيا في السنة السابعة أو الثامنة من العمر، حيث تقل درجة التفكير غير المنطقي، لأن الطفل يبدأ في عملية التكيف الاجتماعي بشكل أفضل، ذلك أن " اللعب الإيهامي يساعد على هذا التكيف لأنه يطوع واقع قدرات الطفل الذهنية والانفعالية، وكلما ازدادت قدرة الطفل على التفكير المنطقي في الأمور المحسوسة وصار أكثر قدرة على التكيف الاجتماعي والانفعالي، يصبح اللعب الإيهامي لا ضرورة له "[31].

وتكمن أهمية اللعب الإيهامي في التعبير الرمزي أي تحويل عناصر البيئة إلى رموز، وما يجعل هذه الرمزية في التعبير غاية في الأهمية كونها الأساس الذي يقوم عليه كل تفكير منطقي فيما بعد، فالعلوم الحقة واللغات كلها تقوم على الاستدلال المنطقي الرمزي، لذلك يمكن القول إن " اللعب الايهامي هو تحول من نشاط وظيفي إلى نشاط تصوري، أي من الأفعال إلى الأفكار، حيث يقدم هذا اللون من اللعب فرصا ثمينة للطفل كي ينمي قدراته المعرفية التجريدية التي تؤهله إلى التفاعل مع الواقع"[32].

8-1 اللعب الدرامي السوسيو دراما.

اللعب الدرامي هو امتداد للعب الإيهامي ويرتكز على المحاكاة وتقليد الأدوار، يقول محمد بسام ملص: " تظهر خلال لعب الأطفال في سنواتهم الأولى لحظات تشخيص واضحة، يمثلون خلالها شخصيات معينة، ...، إضافة إلى ظهور مواقف عاطفية، انفعالية كالتعنيف أو العطف، وهذه الأنشطة هي ما يصطلح عليه باللعب التمثيلي "[33].

ينشأ هذا النوع من اللعب من خلال محاكاة الآخرين، الشيء الذي يلعب دورا مهما في تنشئة الصغار، وفي هذا الإطار ترى فيولا البلاوي: " أن حاجة الطفل الى الحركة والاشتغال في إطار اللعب لها ما يبررها من الزاوية السيكوسوسيولوجية، خاصة إذا عرفنا أن تكوين شخصية الطفل يبدأ بالأساس في ملاحظة سلوك الآخرين ومحاكاتهم وتمثل أفكارهم وتصوراتهم والتوحيد «Identification». بهم، لذا فهو يقلد حركات أقرب الناس إليه"[34].

وإن هذا اللون من اللعب يبدأ فيما بين الثالثة والرابعة من عمر الطفل ويبلغ الذروة بين الخامسة والسادسة حيث يصبح الطفل اكثر تمرسا وابداعاً " فالعصا تصبح حصانا يركبه الفارس الصغير، ويجري مسرورا بها، والأثاث المنزلي يتحول الى مجموعة من التلاميذ وهكذا دواليك"[35]، كما يتميز هذا اللعب "بصفتين أساسيتين هما الانهماك والإخلاص: الانهماك وهو الاندماج الكلي في ما يفعله الطفل، والإخلاص هو شكل من الأمانة والصدق في أداء الدور مع الشعور بالواقعية" [36]، كما يتميز أيضا بمميزات أخرى نذكر منها ما يلي :

- " التلقائية وللإشكالية: فالطفل يلعب عندما يكون على سجيته أي حينما يكون متحررا من ضغط الآخر كالوالدين والمعلم أو غيرهم.
- **الذاتية:** فالطفل يلعب حين يرغب بالكيفية التي يريدها، جاعلا ذاته محور النشاط.
- **التخيل:** انطلاقا من خيال الطفل يقوم بتخييل المحيط وتذكر المشاهد وارتجال الحوار ومحاكاة المتخيل في لعبه، مع ايمائه بأدواره وشخصيته واقتناعه بأهمية ما يقوم به، وهو في كل هذا لا يعتمد على نص أو قوالب أو قواعد مسرحية ويرفض التوجيه من الخارج كما أن المحتوى التربوي أو الخلقي لهذا اللعب غير موجه الى الخارج"[37].
- إن هذا اللون من اللعب السوسيودرامي، يختفي بعد سن السابعة، لكن ذلك لا يعني اختفاء الخيال من خبرة الطفل، لأن بقاء هذا الخيال عند بعض الأطفال هو السبب في نبوغهم في المستقبل وبروزهم كمبدعين وموهوبين، ومن ثمة فإن للعب الذي كان مجرد تصور أو تظاهر بالإتيان بأفعال غير حقيقية " انساقا معقدة من الأفعال والأدوار المتبادلة بين الطفل ورفاقه"[38].
- وإجمالا يمكن القول " إن اللعب والخيال وتقليد الأدوار أو السوسيو دراما، مظاهر طبيعية للنشاط العقلي، والبدني عند الطفل، بها يبدأ حياته ويربط علاقاته مع محيطه، ولا يمكن أن يتحقق له أي نمو سليم بدونها" [39]

الهوامش:

[1]– أمين مرسي قنديل: أصول التربية وفن التدريس، ج 1 ط 955/6 دار الكتاب، 896.

* – كارل جروس: كان أستاذا للفلسفة في بازل بسويسرا اهتم باللغب باعتبار أنه يمكن أن يمثل أساسا للجماليات وهو مؤلف [لعب الحيوانات 1896 ولعب الإنسان 1899]

[2] – سوزانا ميلر: سيكولوجية اللعب، ترجمة د. حسن عيسى، سلسلة عالم المعرفة 120 ديسمبر 1987.

[3]– لسان العرب ج، من ص: 739–740.

[4] – احمد أحدوثن: الخطاب التربوي بالمغرب، سلسلة المعرفة للجميع عدد 28 ص: 116/115.

[5] – نفسه ص: 82

[6] – الفرابي وآخرون معجم علوم التربية، سلسلة علوم التربية 9–10.

[7] – نفسه باب لعب.

[8] – سوزانا ميلر مرجع سابق ص: 24.

[9] – نفسه ص :11.

[10] – نفسه ص: 12.

[11] – نفسه ص: 15.

[12] – نفسه ص :16.

[13] – نفسه ص: 16.

[14] – جمعية تنمية التعاون المدرسي، الدليل العلمي في المسرح 2002، ص: 58 بتصرف.

[15] – نفسه ص: 59 بتصرف.

[16] – سالم اكونيدي: ديداكتيك المسرح المدرسي، السلسلة البيداغوجية 15 ط، 1، 2001، دار الثقافة ص: 148.

[17] – د. سعيد بحير: الارشاد السيكولوجي للأسرة، ص: 63، ط 1 ماي 2004، مطبعة انفوفاس.

[18] – نفسه ص: 61–62.

[20] – نفسه ص: 305

[21] – نفسه ص: 305–306.

[22] – سوزانا ميلر، مرجع سابق ص :33.

[23] – د. سعيد بحير، مرجع سابق ص: 129 بتصرف.

[24] – نفسه ص: 130.

[25] – نفسه ص: 130 بتصرف.

[26] – د. محمد عماد الدين إسماعيل، مرجع سابق ص: 307.

[27] – سوزانا ميلر، م — س، ص: 123.

[28] – د. سعيد بحير، م–س، ص: 134.

[29] – د. محمد عماد الدين إسماعيل، م–س، ص: 309.

[30]– سوزانا ميلر، م–س، ص:184 بتصرف.

[31] – نفسه ص: 179.

[32]– د. محمد عماد الدين إسماعيل ص: 313 بتصرف.

[33] – محمد بسام ملص: النشاط التمثيلي للطفل، سلسلة الموسوعة الصغيرة (العراق) 86/244.ص:11.

[34] – فيولا البلاوي: الأطفال واللعب، عالم الفكر، المجلد 10 العدد 1979/3 (الكويت)ص: 128.

[35] – د. سعيد بحير، م —س، ص: 135.

[36]– محمد بسام ملص، م–س، ص:11.

[37] –الزبير مهداد: جمعية تنمية التعاون المدرسي، نيابة وزارة التربية الوطنية، نيابة الناظور 1997 ص: 14.

[38] – د. محمد عماد الدين إسماعيل، م–س، ص: 315.

[39] – نبيل سليم علي: دراما الطفل ص: 166 مجلة العربي (الكويت) عدد 292 أبريل 1983.